

تفسير البحر المحيط

@ 152 @ بالكافر . ولأنه قسم المؤمنين في قوله : { يُوْذُنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُوْذُنُ } ، وهذه بالظالمين ، لأنه جدد بعد إقامة الدليل على كون الرسول صدر منه القرآن منزل عليه ، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ، فهم الظالمون بعد ظهور المعجزة . .
{ وَقَالُوا لَوْ لَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ * آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ } : أي قريش ، وبعض اليهود كانوا يعلمون قريشاً مثل هذا الاقتراح يقولون له : ألا يأتيكم بآية مثل آيات موسى من العصا وغيرها ؟ وقرأ العربيان ، ونافع ، وحفص : آيات ، على الجمع ؛ وباقي السبعة : على التوحيد . { قُلْ إِن زُيِّنَ لَّكُمْ الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ } ، ينزل أيتها شاء ، ولو شاء أن ينزل ما يقترحونه لفعل . { وَإِنْ زُيِّنَ لَّكُمْ أَنْزَالٌ نَّذِيرٌ } بما أعطيت من الآيات . وذكر يحيى بن جعدة أن ناساً من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود ، فلما نظر إليها ألقاها وقال : (كفر بها جماعة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم) ، فنزلت : { أَوَلَمْ * يَكْفُرْهُمْ } . .

والذي يظهر أنه رد على الذين قالوا : { لَوْ لَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ }
: أي أو لم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات ، إن كانوا طالبين للحق ، غير متعنتين هذا
القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان ؟ فلا تزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا
تضمحل ، كما تزول كل آية بعد وجودها ، ويكون في مكان دون مكان . إن في هذه الآية
الموجودة في كل مكان وزمان لرحمة لنعمة عظيمة لا تنكر وتذكر . وقيل : { أَوَلَمْ
يَكْفِهِمْ } : يعني اليهود ، { أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ الْكِتَابُ } يُتْلَى
عَلَيْهِمْ * { أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ } وَإِنْ كُنْتُمْ مِّنْ مُّبْينٍ *
أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ } أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْكِتَابُ يُتْلَى عَلَيْهِمْ * { أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْآيَاتُ
فِي ذَٰلِكَ لَآرْحَمَةً } وَذَكَرَ لِقَآؤَهُمْ يُؤْمِنُونَ * قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيِّنًا
وَبَيِّنًا كُفْرُكُمْ شَهِيدًا } : أي قد بلغت وأنذرت ، وأنكم جددتم وكذبتم ، وهو العالم { مَا
فِي السَّمَاوَاتِ * وَالْأَرْضِ } ، فيعلم أمري وأمركم ، { وَالَّذِينَ آمَنُوا
بِالْغَيْبِ } . قال ابن عباس : بغير □ . وقال مقاتل : بعبادة الشيطان . وقيل :
بالضم . .

{ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ } : أي كفار قريش في قولهم : { ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا } ،
وقول النضر : { فَأَمْ طِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً } ، وهو استعجال على جهة التعجيز

والتكذيب والاستهزاء بالعذاب الذي كان يتوعدهم به الرسول . والأجل المسمى : ما سماه □ وأثبتته في اللوح لعذابهم ، وأوجبت الحكمة تأخيرها . وقال ابن جبير : يوم القيامة . وقال ابن سلام : أجل ما بين النفختين ، وقيل : يوم بدر . { وَلَئِنَّا تَيَذَّنُوهُمْ بِغَتَّةٍ } : أي فجأة ، وهو ما ظهر يوم بدر ، وفي السنين السبع . ثم كرر فعلهم وقبحه ، وأخبر أن وراءهم جهنم ، تحيط بهم . وانتصب { يَوْمَ يَغْشَاهُمْ } بمحيطة . وقرأ الكوفيون ، ونافع : { وَيَقُولُ } : أي □ ؛ وباقي السبعة : بالنون ، نون العظمة ، أو نون جماعة الملائكة ؛ وأبو البرهثيم : بالتاء ، أي جهنم ؛ كما نسب القول إليها في : { وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ } . وقرأ ابن مسعود ، وابن أبي عبيدة : ويقال ، مبنياً للمفعول . . { تَعْمَلُونَ بَاعِبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا وَإِنِّي أَرْضِي وَاسْعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ اللَّهُ يُبْسِطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ